

MEIRSS
Middle East Institute
For Research
And Strategic Studies

الطابع الديني للصراع، بين الخفاء والعلن

الخوري ريمون ابي تامر
جورجيو مارون
مكتب الحريات الدينية



تعريف الصراع

اجتاحت عملية "طوفان الأقصى" جميع المنصات الإعلامية والافتراضية في السابغ من تشرين الأول، وأغرق العالم بموجة جديدة من الأحداث الحربية الصدامية بعد مرور حوالي عامين على حرب المد والجزر بين روسيا وأوكرانيا.

التسمية:

"المسجد الأقصى" يشير بشكل محدد إلى المسجد الكبير الموجود في الزاوية الجنوبية الغربية للحرم الشريف في القدس، لكن الاسم يُستخدم أيضاً للمجمع الديني ككل، بما في ذلك قبة الصخرة.¹ يعتبر اليهود المتطرفون ان حرم الأقصى هو الجبل المقدس، اهم موقع مقدس لليهود لأنه كان موقعا لمعبدين قديمين قبل تدميرهما. دمر البابليون المعبد الأول في عام ٥٨٦ ق.م، وقام الرومان بتدمير المعبد الثاني في العام ٧٠ م. لا يزال جزء من المعبد الثاني—الحائط الغربي—قائمة. ووفقا للتقاليد اليهودية، الجبل المقدس الذي يعود تاريخه إلى ٣٠٠٠ عام هو المكان الذي جمع الله فيه التراب لخلق آدم، أول إنسان. كما أن الجبل المقدس مقدس لليهود لأنه هو المكان الذي كاد فيه إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق لإثبات إيمانه. كما بنى الملك سليمان المعبد الأول لليهود في هذا الموقع. الموقع له أهمية كبيرة أيضا بالنسبة للمسيحيين. أنه المكان الذي كان يذهب إليه المسيح وهو صغير، حضر فيه المهرجانات، كما علم هناك. يعتقدون أيضا أن المسيح تنبأ بتدمير المعبد أثناء تواجده هناك. يشير الفلسطينيون إلى دخول أي إسرائيلي غير مصرح به إلى "مجمع المسجد الأقصى" باسم اقتحام المستوطنين.

٧ أكتوبر (تشرين الأول):

اعادت العملية العسكرية التي وقعت على حدود قطاع غزة داخل مناطق غلاف غزة، الى الواجهة أحد أقدم الصراعات الحديثة إلى الواجهة العالمية، ولكن بحلة مختلفة هذه المرة. وبقسوة أشد وكرهية مبرمة. صحيح أن هذا الصراع هو جزء من سلسلة أجزاء لنزاع تعود بداياته إلى العام ١٩٤٨، ولكن أوجه كلا الطرفين تغيرت وغيّرت معها منطق ومحرك الحرب، وأصبحنا أمام إرادة قاطعة من كلا الطرفين لإلغاء وجود الآخر وزواله. والمرتكز العقائدي لهذه الرغبة الجامحة هو الجانب الديني بامتياز، وتسمية عملية ٧ أكتوبر ب"طوفان الأقصى" خير دليل على الخلفية الدينية للحرب. ويتمركز الخطاب المعتمد الرسمي لديهما انطلاقا من الرغبة الجامحة في إلغاء الآخر وجودياً ووجدانياً عبر سرديات ملحمية تستحضر الماضي القريب والبعيد.

أسئلة كثيرة يجب ان تطرح عند تحليلنا لهذا الحدث: ما هي السرديات المعتمدة لتبرير كل من موقف الأطراف؟ وكيف ينعكس الجانب الديني على الجانب السياسي الإقليمي والعالمي حتى؟ وما دور المرجعيات الدينية في البت في هذا النزاع؟ وما هو مصير بيت العائلة الإبراهيمية؟

¹ Kupferschmidt, Uri M. 'Al-Aqṣā Mosque'. Encyclopaedia of Islam, THREE. Ed. Kate Fleet et al. Brill Reference

أرقام الحرب حتى هذه اللحظة:

الهدف من عرض الأرقام هو لتسليط الضوء على عواقب هذا الصراع على أرض الواقع لمساعدتنا على تعقّل حجم الخسائر والوفيات:

غزة

قتلى: ٣١,١٨٤ شخصًا على الأقل، بما في ذلك أكثر من:

* ١٢,٣٠٠ طفل

* ٨,٤٠٠ امرأة

جرحى: أكثر من ٧٢,٨٨٩ شخصًا، بما في ذلك على الأقل:

* ٨,٦٦٣ طفلاً

* ٦,٣٢٧ امرأة

مفقودين: أكثر من ٨,٠٠٠

الضفة الغربية:

أحدث الأرقام الصادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة هي كما يلي:

الضفة الغربية المحتلة

قتلى: ٤٢٧ شخصًا على الأقل، بما في ذلك أكثر من:

* ١١٣ طفلاً

جرحى: أكثر من ٤,٦٥٠

وفي إسرائيل، راجع المسؤولون حصيلة القتلى منذ هجمات ٧ أكتوبر من ١٤٠٥ إلى ١١٣٩.

إسرائيل

قتلى: ١١٣٩ شخصًا

جرحى: ٨٧٣٠ شخصًا على الأقل²

² <https://www.aljazeera.com/news/longform/2023/10/9/israel-hamas-war-in-maps-and-charts-live-tracker>

التحليل: البعد التاريخي

نشأت الكيانات في هذه المنطقة الجغرافية الصغيرة وتكونت عقب الاحتلالات المتتالية من حملات صليبية إلى فتوحات إسلامية إلى حين تبلورها وفق تكوين عضوي متعدد الأطياف تحت غطاء الوحدة اللغوية. ومع تسارع الأحداث نشأ كيان جديد ضمن هذا المحيط الحيوي، ولكنه فريد في كونه مصطنعاً وقومياً لا يتشابه مع جيرانه في المنطقة. مع العلم بأن الطابع الديني اليهودي كان محورياً في تكوين تلك الهوية القومية، في مقابل غياب أي نوع من عصبية موحدة قومية عند العرب. وهذا كان محورياً في بناء وتغذية ردات الفعل الدينية الإسلامية الأصولية التي كان البعض أصلاً يحاول العودة بها إلى الساحة السياسية ضمن التيارات السلفية للنهضة العربية³. في السياق الحالي هيمنت حماس على القرار السياسي الفلسطيني، وهيمن الخط اليميني المتطرف على القرار السياسي في إسرائيل.

الخلاصة:

ومع تقدّم شهر رمضان يعود الواقع الديني للصراع إلى الواجهة أكثر فأكثر. فالنزاع الدبلوماسي الدولي حول كيفية التعاطي مع موضوع رغبة إسرائيل لاجتياح رفح، تترافق مع دعوة تجمع العلماء المسلمين في فلسطين باتخاذ إجراءات راديكالية من خلال دعوة المسلمين عموماً إلى التحرك العفوي على الأرض. إضافة إلى تفاوت الوتيرة حول احتمال التصعيد من جنوب لبنان، وهذه الأحداث ليست سوى دليل ملموس لدحض أي محاولة لإيقاف الحرب وطرح الهدنة. وكل هذه الأحداث هي انعكاس وترجمة لعبور الصراع من المجال السياسي إلى المجال الديني.

³ مثل جمال الدين الأفغاني وخير الدين التونسي